جماليات التكوينات الخطية في خط الثلث: دراسة فنية تحليلية

دعاء محمد داود الأشعري
كلية الحضارة الإسلامية – جامعة التكنولوجيا الماليزية – ماليز
رقم الهاتف +06142372328، الإيميل: duaaalashari@gmail.com

ملخص البحث:
إن التكوين الخطي يعتبر علامة رزة في فن الخط العربي ونقلة نوعية لتاريخ هذا الفن العظيم. وخط الثلث هو انسب أنواع الخطوط الذي يمكن استخدامه في التكوينات الخطية بصفة خاصة وفريدة من نوعها. كما أنه يعتبر أكثر نوعاً بين أنواع الخطوط العربية الأخرى من حيث القواعد والموازين والقدرة على الإنجاز لتكوين صياغات فنية ذات طابع فني تشكيلي، لذا تهدف هذه الورقة إلى التعرف على خصائص وأنواع التكوينات الخطية الخاصة بخط الثلث لما لها من أهمية بين أنواع الخطوط العربية الأخرى. كما تهدف هذه الورقة إلى الكشف عن الأسس التصميمية في التكوينات الخطية من حيث البعد الوظيفي والجمالي لخط الثلث. المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي الوصفي كونه انسب أنواع المناهج. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان من بينها هو أن خط الثلث يعتبر سيد الخطوط العربية وتتميز حروفه بليونة عالية لينتج لنا خط مركبا في غاية الجمال، وهذا الخط تتجلي نماذجه في العديد من التكوينات الخطية التي تدل على موائمة التنفيذ مع المادة والمضمون. وعليه جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث رئيسة وخاتمة مشفوعة بمصادر ومراجع البحث؛ فالأول منها: خصائص التكوينات الخطية لخط الثلث، والثاني: أنواع التكوينات الخطية لخط الثلث، والثالث: الأسس التصميمية في التكوينات الخطية من حيث البعد الوظيفي والجمالي لخط الثلث. ولعلي بهذا أضيف التفاتة جديدة للتكوينات الخطية، وأبرز من خلال هذه الورقة البحثية مدى ثراء وجمال وتنوع التكوين الخطي في خط الثلث.

كلمات مفتاحية: جماليات– تكوينات – خطية – خط الثلث –خط عربي.

مقدمة البحث:

خط الثلث هو نوع من أنواع الخطوط العربية وهو انسب الخطوط استخداماً في التكوين الخطي، امتازا لليونة واطلق عليه سيد الخطوط العربية وهو من اصعبها، وذلك لدقة حروفه ووجود استدارات متعددة للحرف الواحد، وسمي لثلث لأن القلم الذي يكتب به عرضة يساوي ثلث عرض قلم الطومار. وتعتبر النقطة وحدة القياس الأساسية عند الخطاطين، ومن المعروف ن الوزير ابن المقلة وهو من وضع قواعد هذا الخط، ومن خصائص هذا الخط أنه يحتوي على مجموعة من القيم الجمالية والفنية وذلك لأن طبيعة حروفه تمكن الخطاط من تكوين بنية خطية جديدة، وهذه من السمات البارزة في خط الثلث، كما أن خط الثلث له من القابلية للتشكل والتزكيب والتشابك والتداخل بين حروفه، وهذه من أبرز الخصائص الفنية لخط الثلث. ويعتبر التكوين الخطي علامة رزة في فن الخط العربي ونقلة نوعية لتاريخ هذا الفن، وخط الثلث هو من انسب أنواع الخطوط العربية الذي يمكن استخدامه في التكوين الخطي، وهو أكثر نوعاً بين أنواع الخطوط العربية الأخرى من حيث القواعد والموازين والقدرة على الإنجاز، إذ يمتاز بكبر حروفه وقابليته على المطاولة الشديدة (الألوسي، 2008م:72).

ويختص هذا البحث بدراسة جماليات التكوينات الخطية المتجسدة في خط الثلث، والتي تستحق أن نقف عندها لتبيان مدى القيم والأبعاد الفنية والجمالية التي تتجلى من خلال جملة أنواع التكوينات الخطية التي خطت بخط الثلث بصفةٍ خاصة. ليظل شاهدًا بتًا على مدى التنوع والثراء التي تفردت بها التكوينات الخطية في خط الثلث.

منهج البحث:

ومنهجي في هذا البحث هو منهج تحليل المحتوى والذي يحلل الظاهرة في أصل نشأتها، ولأن النتائج التي يقدمها هذا المنهج تتعلق لشكل الظاهري ويقوم هذا المنهج على الوصف الموضوعي، ومن أهدافة الدراسة والتحليل من منظور الشكل والمحتوى والمضمون. وهو أحد أساليب البحث العلمي الوصفي. ثم المنهج الوصفي الذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها الخاصة لتكوينات الخطية في خط الثلث، ثم يبين مدى تفرد هذه التكوينات، وأيضاً يبين مدى قيمها الجمالية، والتي تعتبر عملًا فنيًا خالصًا ينطوي تحت المنهج الفني.

مشكلة البحث:

ولقد تمثلت مشكلة هذا البحث فيما تي: ماهية خصائص التكوينات الخطية لخط الثلث، والكشف عن أنواع التكوينات الخطية لخط الثلث، ومدى تنوعها. وأيضاً التعرف على الأسس التصميمية في التكوينات الخطية من حيث البعد الوظيفي والجمالي لخط الثلث.

أسئلة البحث:

1. ما هي خصائص التكوينات الخطية لخط الثلث؟
2. هل يمكن دراسة أنواع التكوينات الخطية لخط الثلث لمعرفة مدى تنوعها وثراءها الفني؟
3. هل لإمكان دراسة الأسس التصميمية في التكوينات الخطية للتعرف على البعد الوظيفي والجمالي لخط الثلث؟

المبحث الأول: خصائص التكوينات الخطية لخط الثلث

تقديم : ومن الخصائص المميزة التي أعطت خط الخط شهرة في تكوين وبناء اللوحات الخطية هي مرونة حروفه ومطاوعتها في المدادات والسحبات والانحناءات تجاهات تناسب ضرورة التكوين الخطي مع الحفاظ على القواعد الأساسية للحرف مثالاً على ذلك: فأن حرف الألف في خط الثلث يبلغ طولة حسب القاعدة سبع نقاط من عرض القلم وبعض الأحيان يتطلب إلى إطالة الألف إلى عشرة نقاط وهذا لا يتعارض مع قواعد خط الثلث وفي الوقت نفسة يتوافق مع ضرورة التصميم، وأيضاً تعدد هيئات رسم الحرف الواحد وبهيئات عديدة، وهذا الخاصية تساعد على تسهيل التنظيم المكاني للحرف داخل التكوين الخطي من خلال توفر أشكال عدة للحرف الوحد مما يساعد في الحفاظ على شكل وهيئة التصميم الفني للتكوين الخطي (حبش،2014م،214).

لإضافة إلى خاصية اختزال الحروف ذو الأجزاء المتشابه وتقليص الفضاء بين الكلمات، وكل هذه الخصائص تخلق نوعاً من الوحدة في النسب الخطية، وأيضاً من الخصائص الفنية لخط الثلث هو التقاطع والتزكيب، ومن أشكاله تراكب جزئي و تراكب كلي للحرف، وهذه الخاصية تضيف ترابط بين الكلمات من خلال التشابك لوحدة الشكل ووحدة البناء الخطي. كما أن خط الثلث له قابلية لتقبل الوحدات الزخرفية، أضف إلى ذلك كبر حجم حروف خط الثلث وكثرة مداته تقبل على وجود وحدات زخرفية بين حروفه، وهذا الخاصية تخلق نوعاً جمالياً من التكوين الخطي وتساعد على ملئ الفراغات وخلق تنوع شكلي وفني لتكوين خطي (الجبوري، 2005م: 301).

ومن أهم الشروط التي يطلبها التكوين الخطي معالجة المساحة المراد إنشاء التكوين عليها من شكل مربع أو مستطيل أو دائري ثم التمعن في معنى النص، لأن معنى النص هو المحفز لشكل التكوين النهائي. ومن مراحل التكوين الخطي أولا: اختيار نص الكتابة، ثم تي دور الخطاط لاختيار فكرة مناسبة للتكوين الشكلي من خلال فهم مضمون المحتوى النصي. نياً: تي مرحلة التركيب وهذه المرحلة يتم فيها تشكيل وترابط وربط الكلمات لإخراج التكوين الخطي المتوقع وفق أسس وبناء التكوين الخطي، إن تركيب العناصر الخطية يعتمد في المقام الأول على تجاورها وتقاربها وتقاطعها وتشابكها في البناء النصي لتحقيق الانسجام والتوازن من أجل بلوغ الأبعاد الجمالية والدلالة في آن واحد (ذنون،1986م:56).

خصائص التكوين الخطي لخط الثلث:

أولاً: حروف خط الثلث لها قابلية للتقويس والانبساط والمد والاستطالة وجميع هذه الخواص تعطي مجالاً واسعاً لبناء تكوين متزاكب من خلال تضافر الحروف العربية.

نياً: إن عناصر التكوين الخطي (النقطة، الحرف، الكلمة، الحركات الإعرابية) عند تقاطعها تشكل نسيج متجانس في التزكيب الخطي لخط الثلث.

لثاً: لتزاكيب خط الثلث أشكال متعددة منها التزكيب ذو مستوى خفيف، التزكيب ذو مستوى ثقيل، التزكيب الهندسي، أو التزكيب الحر.

رابعاً: إن تعدد صور أشكال الحرف الوحد في خط الثلث ومرونة قواعدها أدّت إلى التشكل في بنائها النصي وفق قواعد اللغة.

خامساً: إن لخط الثلث إمكانية لتكرار بعض الحروف، وهذه الخاصية تعد من أبرز العناصر الجمالية لأن عنصر التكرار من سماته أنه يدّعم اللوحة الفنية ويعزز تكوينها الخطي.

سادساً: إن توظيف الحركات الإعرابية في تكوين البنية الخطية في خط الثلث يعتبر ذو أهمية لغة لملأ المساحات الفارغة، فضلاً عن ز دة قوة البناء وتماسك أجزائه وكأنه كتله واحدة داخل التكوين الخطي.

سابعاً: إن الانسيابية والتتابع والتسلسل في كتابة النص خلال التكوين يعطي الجمال اللفظي والبلاغة البصرية في تتبع النص.

مناً: امتاز التكوين الخطي بصفات بنيت على التناظر والتبادل والتوازن من خلال التلاعب لكتلة الخطية، لإضافة إلى تكرار الحروف وتشابكها والتقاطع بينها والاختزال.

سعاً: إن لفظ الجلالة ولفظ الرسول يحتل مواقع رزة داخل التكوين الخطي، ويجب على الخطاط عند معالجة التصميم النصي اختيار المكان المناسب للفظ الجلالة ودائماً يكون لفظ أو اسم رسوله محمد في أعلى التكوين الخطي.

عاشراً: يجب توفر عناصر التأليف والتماسك والتوازن في التكوين الخطي وذلك من خلال معالجته هذه العناصر بشكل متناسق لهدف ربط الحروف والكلمات فيما بينها داخل فضاء التكوين لخط الثلث (ذنون،1986م:70).

المبحث الثاني: أنواع التكوينات الخطية لخط الثلث

في هذا المبحث سنتناول أنواع التكوينات الخطية لخط الثلث، إن التكوين الخطي هو نتاج النزابط والتكافؤ بين الشكل مع النص بوحدة فنية لهدف التعبير عن المحتوى النصي سلوب جمالي لا ينفصل عن العناصر والأسس الفنية الأخرى في بنية التكوين ولابد أن تكون جميع العناصر والأسس محسوبة على أساس القيمة الوظيفية والنصية والجمالية، إن الوحدة في التكوين الخطي تؤدي إلى خلق تكوين متكامل لأن البناء الخطي يتطلب تنظيم وترتيب عناصره لكي تكون في صورة متناسقة ومتناغمة ولها إيقاع خاص بها من خلال استخدام خط الثلث بصياغة جمالية. إن فن الخط العربي وخاصةً التكوين الخطي يعتبر من أهم المراحل الفنية التي وصل إليها الخطاط المسلم وذلك من خلال إتقان أشكال وقواعد الحروف والتعرف على الخصائص البنائية التي تشكل عامل هام في وحدة التكوين الخطي (داود،1997م، ص60).

أولا: أنواع التكوينات الخطية لخط الثلث:

أولا: نظام السطر الواحد وهو أبسط صور الكتابة لخط الثلث ولا يشترط فيه التزاكب وتكون صور الكلمات منفرده لتحقيق الوظيفة اللغوية فقط.

نيًا: نظام التكوين الخفيف وفي هذا النزكيب تنظم الكلمات على مستويين في سطر واحد حيث تبدأ القراءة من أسفل إلى أعلى وتكون في صور متشابكة ومتداخلة وتستخدم في تزين المساجد.

لثًا: نظام التكوين الثقيل وهذا النظام يعتمد على النزاكيب التي تتكون من ثلاثة مستو ت بصورة متشابكة تظهر على شكل سطر واحد، وهذا النوع من النظام يتطلب مهارة عالية في توزيع الحروف والكلمات والتشكيلات التزينية والإعرابية على نحو متوازن مع الفضاء دون الإخلاء لمستوى القرائي من الناحية التسلسلية للنص مع إظهار الجانب الجمالي من خلال انسيابية الحروف.

رابعًا: نظام التكوينات المتقابلة وفي هذا النظام تكون التراكيب متقابلة أو متماثلة في جميع المفردات للبنية الخطية وصولاً إلى التطابق إذ يتطلب هذا النظام توافق الأسس التصميم من حيث التكرار والتوازن والتطابق في عملية توزيع المفردات الخطية (فرمان،2004م، ص80).

وبناءً على ما سبق إيراده فأن جملة هذه التكوينات الخطية في خط الثلث تتطلب مهارة عالية من الخطاط لإخراجها لمستوى المطلوب الذي يعبر عن الأبعاد الجمالية والبلاغية لمضمون النص الكتابي.

نيًا: ويقول الوزير ابن مقلة ن الحروف العربية تحتاج في تصحيح أشكالها إلى عدة عناصر:

أولاً: التوفية: ن يعطي كل حرف من الحروف العربية مقداره من الخطوط سواءً كان مقوس، منحني، منبسط، مسطح.

نياً: الإتمام: ن خذ كل حرف حقة من الأقدار من طول، قصر، رقة، غلظة.

لثاً: الإكمال: ن يحصل كل حرفة على حظه من الهيئات التي يجب أن يكون عليها من انتصاب، انكباب، استلقاء.

رابعاً: الإشباع: ن خذ كل حرفة حظه من صدر القلم حتى يتساوى فلا تكون بعض الحروف أدق ولا أغلظ.

خامساً: الإرسال: ن يرسل يده لقلم في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس ولا توقف (جي زين الدين، 1974م: 175).

المبحث الثالث: الأسس تصميمية في التكوينات الخطية من حيث البعد الوظيفي والجمالي لخط الثلث

1. التوازن بين الحروف شيء أساسي ومهم في التكوين الخطي وهناك توازن متماثل وتوازن غير متماثل.
2. التباين في الشكل واللون والحجم والملمس والخط له دور رئيسي في جمالية التكوين وعملية الجذب.
3. التناسب بين الخطوط داخل التكوين أحد الركائز الأساسية في العلاقات التصميمة.
4. الإيقاع ويعرف نه الفواصل الزمنية التي تحتاجها العين لانتقال من شكل إلى آخر والإيقاع يخلق حركة ذهنية داخل وحدات التكوين الخطي.
5. التتابع في حركة الخط والتتابع يكون ن يجعل عين القارئ تنظر إلى نقطة معينة في التكوين ثم تنتقل بطريقة تتابعية داخل التكوين الخطي

6. السيادة وهي هيمنة أحد عناصر التصميم بشكل يغلب على بقية العناصر الأخرى والسيادة تكون أمّا في اللون، الخط، الملمس داخل نظام التكوين الخطي.

7. الوحدة من الأسس المهمة وهي التي تربط العناصر الخطية مع بعضها داخل التكوين الخطي.

8. اللون يلعب اللون دوراً أساسياً في التكوين الخطي لما له من دور في إبراز القيم الجمالية وإظهار الأفكار وز دة جذب الانتباه فضلا عن استخدامه في إظهار شكل الحرف، إن عنصر اللون له وظيفة أساسية في دعم البناء التكويني الخطي من خلال ز دة الإحساس البصري وجذب الانتباه، لأن لكل لون دلالة رمزية تعبر عن فكرة تؤثر في نفسية المتلقي، لإضافة إلى ما يحمله اللون من طاقة جمالية تضيف على التكوين الخطي بعداً جمالياً (الحسيني، 1996م: 48).

الخاتمة

وبعد الوصول إلى نهاية المطاف توصل البحث إلى جملة من النتائج وهي:

1. بعد هذا الطواف حول جماليات التكوينات الخطية لخط الثلث، يتضح لنا ن لإكساب الخط العربي نوعاً من الجمال والتماسك والقوة في بنيته النصية ظهر التكوين الخطي كظاهرة فنية فريدة من نوعها وذلك لأن قواعد حروف خط الثلث بشكل خاص لها قابلية للتشكل والتنوع وامتازت لرشاقة والانسيابية.
2. أن خط الثلث يعتبر سيد الخطوط العربية وتتميز حروفه بليونة عالية لينتج لنا خط مركبا في غاية الجمال، وهذا الخط تتجلي نماذجه في العديد من التكوينات الخطية التي تدل على موائمة التنفيذ مع المادة والمضمون.
3. أن هذه الخصائص منحت خط الثلث سمات فنية جمالية مميزة، ويعتبر الخط العربي عنصر من عناصر الجمال وله قيم تشكيلية رزة في الفن الإسلامي، لإضافة إلى أن نظام التكوين الخطي لخط الثلث يعد عنصراً أساسيًا في فن الخط وهو الذي يمنح الخط شكله الفني البلاغي.
4. المنطق الجمالي الكامن في التكوينات الخطية في الثلث يقوم على تنظيم الخطاط للعناصر والأسس الخطية والتصميمية داخل بنية التكوين الخطي لغرض خلق تكوين ذو بعد وظيفي وجمالي ودلالي كون عملية التكوين الخطي هي المرآة العاكسة للعملية الإبداعية عند الخطاط.
5. إن الاهتمام بظاهرة التكوين الخطي والتركيب بين بنية الحروف النصية وصل إلى قمة الإبداع الجمالي، حيث تميزت التكوينات الخطية لخط الثلث لجمال وبقدرة عالية على اختزال الحروف.

6. انصب جُلُّ اهتمام معظم الخطاطين على الخط العربي وخصوصاً خط الثلث وتمحور اهتماهم حول التكوينات الخطية لخط الثلث لما يتمز به هذا الخط من قدرة عالية على التزاكب والتشابك وتعدد مستو ت التزكيب.

7. إن الخصائص الجمالية والأسس التصميمة لمعالجة النص داخل بنية التكوين الخطي أدّت إلى تطور البعد الجمالي لتزاكيب خط الثلث سلوبه المتميز في معالجة المساحة والنصوص الخطية من أجل خلق تكوين خطي ذو إيقاع حركي يخاطب الروح والعقل.

قائمة المصادر والمراجع

- الجبوري، محمود شكري. (2005م). بحوث ومقالات في الخط العربي. دار الشرق للطباعة، بيروت لبنان.
- الحسيني، إ د حسين عبد . (2003م). التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم. دار الشؤن الثقافية العامة، بغداد.
- الألوسي، عادل .(2008م). الخط العربي: نشأته وتطوره. مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر.
- حبش، حسن قاسم .(2014م). جواهر الخطاطين في فن كتابة خط الثلث: فن الخط العربي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- داود، عبد الرضا بهية.(1997م). بناء قواعد لدلالات المضمون في التكوينات الخطية. أطروحة دكتورها غير منشورة، قسم التصميم، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، العراق.
- ذنون، سم. (1986م). خطاطون مبدعون. المكتبة الوطنية، بغداد، العراق.
- زين الدين، جي.(1974م). مصور الخط العربي. مكتبة النهضة ، بيروت.
- فرمان، عدي.(2004م).الخصائص الفنية لخط الثلث في المدرسة البغدادية للخطاط هاشم البغدادي. رسالة ماجيستير. قسم الخط العربي والزخرفة، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، العراق.